**المحاضرة الثالثة-الأساس الإجرائي لتحليل الخطاب-ماستر2-تخصص:نقد حديث ومعاصر**

**عنوان المحاضرة:مدخل إلى آليات تحليل الخطاب الأدبي**

**أ/سليم بركان**

يشكل كل من النص/الخطاب عالما من العناصر اللغوية/النصية/الخطابية،لذلك أضحى التعامل مع هذه المواد النصية والخطابية متداخلا ومعقدا لكونها تستميز عن باقي الظواهر والأنساق الثقافية/الفكرية/الأدبية/التداولية،مما جعل الكثير من الدارسين في مجال تحليل الخطاب يتساءلون على المنهجيات/الاسترتيجيات/النقدية التي يعتمدونها في فهم/تفسير الأعمال الأدبية،ومن هنا برز على الساحة النقدية الأدبية المعاصرة اتجاهين اثنين هما:

**الإتجاه الأول** يرى بأن تكوينية الخطاب الأدبي قائمة على مجموعة من السياقات الخارجية ومن ثمة يكون الكشف عن مختلف دلالات الخطاب من خلال ربطه بمختلف السياقات الخارجية ، ويندرج ضمن هذا كل المناهج السياقية-التاريخي/الاجتماعي/النفسي....- التي اهتمت بتحليل مختلف المضامين التي يحملها النص الأدبي،بينما يرى الاتجاه الثاني أن تكوينية الخطاب لغوية نصية قائمة في بعدها الإجرائي على تحليل العلاقات الداخلية التي تحكم إنسجامية الخطاب وكذا اتساق النص الدلالين ومن هذه المنهجيات/الرؤى-البنيوية/السيميائية/لأسلوبيسة/التفكيكية/التداولية......وهناك من جمع بين الرؤيتين من أجل فهم وتفسير وشرح العمل الأدبي دون تغليب رؤية على أخرى وهو الاتجاه البنيوي التكويني.

وبناء عليه يرى الاتجاه الأول أن العمل الأدبي دينامي ويؤثر ويتأثر كما أن له تفاعلات ذاتية/موضوعية وهو فوق كل ذلك أداة فنية في أيدي الطبقات الاجتماعية/التارخية/النفسية،ذلك أن الذات المبدعة تتموقع ضمن المسار السوسيوتاريخي والنفسي وليس التزمني،وهو بذلك يسهم-المبدع-من خلال الإبداع غي تمثل العالم وتفسيره وفهمه وفق الشروط التاريخية/الاجتماعية/النفسية التي تتحكم في صيرورة العالم،ذلك إن الخطاب الأدبي متغير/متحول مثله مثل الذات المبدعة،ومن ثم كان لزاما على المبدع أن يقوم برصد الواقع الذي يعيش فيه رصدا بانوراميا،ذلك أن أساس الإبداع الأدبي اجتماعي/تاريخي/نفسي تحاول الذات المبدعة أن تتمثله بشتى الطرق/الأساليب الأدبية سواء المرآوية أم الانعكاسية ،لذلك تصبح العلاقة بين النص والواقع إما انعكاس أو تنظر وبذلك تلغى جمالية النص الأدبي وتحال على التكوين السياقي الخارجي له أي يصبح ظاهرة اجتماعية يخضع لمختلف القوانين الاجتماعية التي لها علاقة بكل الأبعاد المادية /النفعية وفي مقابل هذا الطرح النقدي السياقي ظهر الطرح الرومانسي الذي يعتد بالذات المبدعة الفردية وتحميلها لمختلف المضامين التي تبثها الذات ضمن العمل الأدبي مع إغفالهم للأطر اللغوية والنصية التي تكون الخطاب الأدبي،ذلك أن الفن ليس انعاكاسا سلبيا بل هو إضافة وإبداع من أجل التعرف على الواقع أكثر بل هو بالأحرى أداة شحنة وسلاح للتغيير لذلك يبدو الواقع أكثر غنى من حقيقته الواقعية لأن الإبداع الأدبي لا يقف عند حدود الواقع في معطياته الخارجية المباشرة،إنما يتجاوز هذه المعطيات الخارجية إلى محاولة بناء وعي جمالي جديد قائم في أنساقه على البناء الفني والإبداعي للأدب.

إن الخطاب الأدبي وان كان تكوينه الإبداعي والأدبي مستمد من الواقع إلا أنه يتجاوز الماثل في الواقع إلى محاولة اكتمال ما يشوبه من المثول ومن المباشرة الواقفة عند حد المرآوي والمحسوس،فتتحقق الأفاق في تبني رؤى إستشرافية رحبة ومن ثم يتحرر الإبداع الأدبي من المنظور الانعكاسي البليد فتنتظم بذلك الذاتية الإبداعية مع وعيها بالحقيقة الواقعية مما يعني أن هناك علاقة جدلية بين الواقع والأدب من جهة وبين النقد والواقع من جهة أخرى.وهي كلها في الأساس علاقات جمالية بامتياز يصبح فيها الخطاب الأدبي استدراج /استدراك للنقص الماثل في الواقع ومن محاولة إعادة العلاقات الجمالية التي تمثل حقيقة التكوين الأدبي.

إن هذه الإشارات النقدية جاءت لتؤكد على أن من مهام تحليل الخطاب هو بيان التلاحم/الانسجام/النظام/بين مختلف العلاقات الخارجية/الداخلية للخطاب الأدبي بمعنى القوانين اللغوية/النصية/التداولية التي تنظم المسارات الدلالية لفعل الخطاب في النص ساء الخارجية أم الداخلية،لذلك فإن عدم الوعي بها وبأفعالها الفنية قد يؤدي إلى تجاوز صريح للمكونات الجمالية للخطاب الأدبي،كما قد يؤدي في جانب آخر إلى التركيز على جانب من دون آخر ومن تتفلت دلالة الخطاب في النص،وهي أمور في أصلها قد تفضي إلى رؤية الظاهرة الأدبية على أنها بيان إيديولجي/وثيقة تاريخية/انطباع نفسي/أو النظر إليها كإطار فني مكتمل ومستقل،وعليه لا بد من النظر من أن الخطاب الأدبي لا يحقق وجوده الجمالي ألا إذا وضع ضمن إطاره المرجعي اللغوي وغير اللغوي أي عدم الفصل بين ما هو شكلي وما هو سياقي.

وبالمقابل فإن **الاتجاه الثاني** صاحب مقولة الداخل النصي فيعتبرون أ ن تكوينية الخطاب الأدبي الدلالية أنها لغوية صرفة وأن دلالة الخطاب مستمدة من عالم قائم بذاته وليست له علاقة بالخارج النصي أي بالنسق اللغوي الذي يتكون منه ذلك إن الدلالة متموقعة في إطارها الوظيفي، مما يعني أن الأعمال الأدبية في نظر هؤلاء تكتسب دلالتها من أشكالها في حد ذاتها ومن أنظمتها الداخلية المختلفة وهذه الرؤية يمكن تحسسها عند الجاحظ حينما أشار إلى" أن المعاني مطروحة في الطريق يعرفها الجاهل والخابر وإنما الشأن كل الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وفي صحة الطبع و وجودة السبك"ولذا يكون أصحب الداخل النصي قد نظروا إلى النص الأدبي على أنه ظاهرة نصية بامتياز رافضين بذلك كل التصورت النقدية السياقية وحجتهم في ذلك أنه لا يمكن فهم/تفسير النص الأدبي اعتمادا على مختلف السياقات التي تكون النص الأدبي.

إن مهمة دارس تحليل الخطاب تتلخص في محاولة ولوج الخطاب الأدبي من خلال التركيز على مرجعياته الداخلية وفقط ،ذلك أن الخطاب الأدبي ليس أكثر من مجموعة إمكانيات نصية تموقعت بطريقة فردية متميزة من خلال الاعتماد على مجموعة من التمثلات اللغوية/النصية/البنيوية الممتازة.بل ولا يتعدى من أن يكون مجموعة من الجمل التي يمكن إخضاعها للتحليل البنيوي من ذلك ما تبناه كل من:بارث/جنيت/كريستيفا وغيرهم الذين اعتبروا أن الأعمال الأدبية بنية لغوية مغلقة ومن ثمة فإن العمل الأدبي ميكانيكا آلية لغوية مفرغة من كل محتوى اجتماعي/نفسي/تاريخي ،بمعنى أن النص الأدبي جهاز لغوي بالدرجة الأولى مغلق على ذاته وفي الوقت نفسه هو معزول عن كل السياقات الأدبية.

إذا كان هناك جدوى من استثمار مفهوم البنية في تحليل الخطاب الأدبي من منطلق أنها قد تشير في عملية الإبداع إلى سيرة المبدع أو قد تضيف إلينا معلومات عن قصده أو ما كان يشغله وقد تكون هناك بنية أخرى ذات وظيفة تاريخية/اجتماعية/نفسية أو قد متصلة بتاريخ الأدب والثقافة والفكر.

صحيح أن البنيويين قد رفضوا كل المرجعات السياقية جملة وتفصيلا و اعتبروا أن النص الأدبي بنية ثابتة مغلقة تستوحي حركيتها الدلالية من داخلها دون الاكتراث بالخارج نصي ،لذلك فإن الحركة التي يريدونها هي الحركة التي يظل فيها الزمن زمن الأدب نفسه.

وبين هذا وذاك برز الاتجاه البنيوي التكويني الذي تزعمه"غولدمان"الذي حاول أن يقف موقفا وسطا بين ماهو سياقي و نسقي،فاعتمد على تحليل الخطاب الأدبي انطلاقا من علاقاته الداخلية والتي تحيل إلى الجوانب الخارجية التي تحيط بالمبدع ،وقد استمد هذه الرؤية النقدية من الفلسفة الماركسية واسماها ضمن دائرة النقد الدبي "بالبنيوية التكوينية"التي تقوم على فرضية"أن كل سلوك إنساني مهما تعددت مواقعه إجابة دالة على موقف معين غايته إقامة توازن بين الذات الفاعلة والموضوع الذي تتوجه إليه" وهذا التوازن هو الذي يفسر العلاقة بين العمل الأدبي والعناصر المكونة له بقدر ما يشرك العلاقة بين الوعي الفردي والوعي الجماعي في علاقتهما بالعمل الأدبي اعتمادا على مبدأ التناظر البنيوي الموحد بين ما هو جمالي وما فكري ومن ثمة فقد أقر"غولدمان" مجموعة من المقولات الإجرائية لعل من أهمها "رؤية العالم"التي تقوم على ربط البنية الدالة الصغرى-النص- بالنية الكبرى-المجتمع- أي بنية الوعي المرجعية الخاصة بالنص الأدبي وقد توسع في ذلك خاصة في تبنيه لأصناف الوعي التي يتمثلها المبدع في تشكيل خطابه الأدبي.و عليه توصل في النهاية إلى خلاصة مفادها أن العمل الأدبي لا يعبر عن المبدع الفرد بقدر ما يعبر عن الفرد الجمعي المنتمي إلى الجماعة البشرية.